Theories and criticism in Arabic literature
The Five Year, Issue 18, 2025
Pp123-148
Research Paper
DOI: 10.22034/jral.2026.594348.1126

Stylistic Phenomena in al-Husayn's Discourse during the Event of Karbala: A Study of the Phonological and Syntactic Levels

Hassan rhmanirad [۱], Mohammad Ghafourifar [۲], Abbas Ismail Mazal Al-Tatimi [۳]

(Received: 2026/03/27, Accepted: 2026/05/13)

Abstract

Stylistic studies are among the modern approaches to literary criticism that seek to reveal the aesthetic and semantic features of literary texts through the analysis of their various linguistic levels. Imam al-Husayn's (peace be upon him) sermons, delivered during his journey from Medina to Karbala, constitute some of the most significant rhetorical texts in the Arabic-Islamic heritage due to their profound religious, humanitarian, and reformist values, as well as their remarkable stylistic richness. This study aims to identify the major stylistic features of these sermons and examine their aesthetic and semantic functions at the phonological and syntactic levels, highlighting their role in shaping the structure of al-Husayn's discourse and conveying its reformative message. The study adopts a descriptive-analytical approach by examining selected sermons delivered by Imam al-Husayn (As) from his departure from Medina until the events of Karbala. The findings reveal that, at the phonological level, the frequent use of repetition in its various forms, rhyme (*saj'*), and sound repetition creates an internal rhythm that strengthens the expressive structure of the discourse and reinforces meanings such as grief, steadfastness, warning, rebuke, and motivation. At the syntactic level, the study demonstrates the diversity of declarative and non-declarative structures, particularly imperative, prohibitive, interrogative, and vocative forms, in addition to word-order variation and the purposeful alternation between nominal and verbal sentences according to the communicative context. These stylistic devices enhance the argumentative structure of the sermons, establish persuasive evidence, and reinforce the values of truth, justice, and reform embodied in Imam al-Husayn's movement. The study concludes that al-Husayn's discourse is characterized by remarkable stylistic coherence and a harmonious integration of its linguistic levels.

key words: stylistics, sermon, Imam Hussein (As), phonetic level, syntactic level.

۱. Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Faculty of Humanities, University of Adian and Mzaheb, Qom, Iran. Email: mohammed.ghadeeb.jasim@ec.edu.iq
۲. Associate Professor of Arabic Language and Literature, Kosar University of Bojnord, Bojnord, Iran.
۳. Master's degree in Arabic language and literature, University of Adian and Mzaheb, Qom, Iran.

©The Author(s). **Publisher**: Kosar University

التنظيرات والنقد في الأدب العربي
السنة الرابعة، العدد ١٨، صيف
١٤٠٤هـ، ٢٠٢٥م، صص ١٤٨-١٢٣

مقاله بحثيه
DOI: 10.22034/jral.2026.594348.1126

الظواهر الأسلوبية للخطاب الحسيني في واقعة كربلاء؛ دراسة على المستوين الصوتي والتركيبي

حسن رحمانی‌راد*[١]، محمد غفوری‌فر[٢] عبّاس إسماعيل مزعل التميمي[٣]

(تاريخ الوصول: ١٤٠٥/٠١/٠٧، تاريخ القبول: ١٤٠٥/٠٢/٢٣)

المخلص

تُعَدُّ الدراساتُ الأسلوبية من المناهج النقدية الحديثة التي تُعنى بالكشف عن الخصائص الجمالية والدلالية للنصوص الأدبية من خلال تحليل مستوياتها اللغوية المختلفة. وتُعدُّ خطب الإمام الحسين (عليه السلام) من أبرز النصوص الخطابية في التراث العربي والإسلامي، لما تتضمنه من قيم دينية وإنسانية وإصلاحية، فضلاً عن ثرائها الفني والأسلوبي. وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أبرز الخصائص الأسلوبية في نماذج مختارة من خطب الإمام الحسين (عليه السلام)، وبيان وظائفها الفنية والدلالية في المستويين الصوتي والتركيبي، وإبراز دورها في بناء الخطاب الحسيني وإيصال مقاصده الإصلاحية. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي ـ التحليلي، من خلال تحليل نماذج مختارة من خطبه (عليه السلام) في مسيرته من المدينة المنورة إلى كربلاء. وأظهرت النتائج على المستوى الصوتي كثافة توظيف التكرار بمستوياته المختلفة، والسجع، وتكرار الأصوات، وقد أسهمت هذه الظواهر في إحداث إيقاع موسيقي عزّز البنية التعبيرية للنص، وعمّق دلالاته، وأبرز مشاعر الحزن والثبات والإنذار والتوبيخ والتحريض. كما كشفت الدراسة على المستوى التركيبي عن تنوع الأساليب الخبرية والإنشائية، ولا سيما الأمر والنهي والاستفهام والنداء، إلى جانب ظاهرتي التقديم والتأخير، والتناوب بين الجمل الاسمية والفعلية وفقاً لمقتضى المقام. وأثبت التحليل أن هذه الوسائل الأسلوبية لم تُوظَّف توظيفاً زخرفياً، وإنما أدّت وظائف دلالية وحجاجية واضحة، أسهمت في تعزيز قوة الخطاب، وإقامة الحجة على المخاطبين، وترسيخ قيم الحق والعدل والإصلاح في النهضة الحسينية.

الكلمات المفتاحية: الأسلوبية، الخطاب الحسيني، الإمام الحسين (عليه السلام)، المستوى الصوتي، المستوى التركيبي.

---

١. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية العلوم الإنسانية، جامعة الأديان المذاهب، قم، ايران؛ «الكاتب المسؤول»).
البريد الإلكتروني: h.rahmanirad@urd.ac.ir
٢. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية العلوم الإنسانية، جامعة كوثر بجنورد، بجنورد، إيران.
٣. ماجيستر في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية العلوم الإنسانية، جامعة الأديان المذاهب، قم، ايران.

حقوق المؤلف: الكاتب **الناشر**: جامعة كوثر

۱. المقدمة

تُعدُّ واقعة كربلاء من أبرز الأحداث المفصلية في التاريخ الإسلامي، لما انطوت عليه من قيم دينية وإنسانية وأخلاقية تركت أثرًا عميقًا في الوعي الإسلامي والإنساني على السواء. ولم تقتصر أهمية هذه الواقعة على بعدها التاريخي، بل امتد تأثيرها إلى مجالات الفكر والأدب والبلاغة؛ إذ شكّل الخطاب الحسيني فيها نموذجًا متميزًا للخطاب العربي، بما تضمنه من قوة في الحجاج، وعمق في الدلالة، وجمال في الصياغة، وقدرة على التأثير في المتلقين عبر العصور.

ويُعدّ الخطاب الذي ألقاه الإمام الحسين (عليه السلام) منذ خروجه من المدينة المنورة مرورًا بمكة المكرمة وصولًا إلى كربلاء من أهم النصوص الخطابية في التراث العربي الإسلامي؛ لأنه يجمع بين البعد العقدي والبعد الإنساني، ويعكس في الوقت نفسه خصوصية لغوية وأسلوبية تستحق الدراسة والتحليل. وقد حفظت كتب التاريخ والمقاتل جانبًا مهمًا من هذه الخطب، ومن أبرزها الملهوف على قتلى الطفوف لابن طاووس، والكامل في التاريخ لابن الأثير، ومقتل الحسين (عليه السلام (للخوارزمي، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي، وغيرها من المصادر التي وثّقت نصوص الخطاب الحسيني في مختلف مراحل واقعة كربلاء.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت واقعة كربلاء من الجوانب التاريخية والعقدية والبلاغية، فإن الدراسات الأسلوبية التي تناولت الخطاب الحسيني بوصفه نصًا لغويًا متكاملًا، يجمع بين المستويين الصوتي والتركيبي، ما تزال محدودة، وغالبًا ما ركزت على الجوانب البلاغية أو اللغوية بصورة جزئية، دون الوقوف على التكامل بين الظواهر الأسلوبية ووظائفها الدلالية والتأثيرية في بناء الخطاب. ومن هنا تتمثل مشكلة البحث في الكشف عن الكيفية التي أسهمت بها الظواهر الصوتية والتركيبية في تشكيل البنية الأسلوبية للخطاب الحسيني، وإبراز أثرها في تحقيق مقاصده الفكرية والإقناعية والجمالية.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تسعى إلى قراءة الخطاب الحسيني قراءة أسلوبية حديثة، تنطلق من تحليل الظواهر اللغوية في ضوء السياق الخطابي، للكشف عن العلاقة بين البنية اللغوية والوظيفة الدلالية، وبيان الدور الذي تؤديه العناصر الصوتية والتركيبية في تعزيز فاعلية الخطاب، وإبراز أبعاده البلاغية والتداولية. واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال استقراء خطب الإمام الحسين (عليه السلام) الواردة في المصادر التاريخية المعتمدة، وتحليلها على المستويين الصوتي والتركيبي، للكشف عن أبرز الخصائص الأسلوبية التي تميز هذا الخطاب، وبيان أثرها في توجيه المعنى وبناء الدلالة.

۱. ۱. أسئلة البحث

۱. ما أبرز الظواهر الأسلوبية التي تميز الخطاب الحسيني في واقعة كربلاء على المستوى الصوتي؟

۲. ما أهم الخصائص الأسلوبية التي تجلت في البنية التركيبية لخطب الإمام الحسين (عليه السلام)؟

٣. كيف أسهمت الظواهر الصوتية والتركيبية في بناء الدلالة، وتعزيز الأثر الإقناعي والجمالي للخطاب الحسيني؟

٤. ما العلاقة بين البنية اللغوية والسياق الخطابي في تحقيق مقاصد الخطاب الحسيني في واقعة كربلاء؟

٢. ١. خلفية البحث:

حظي الخطاب الحسيني باهتمام عددٍ من الباحثين، وتنوّعت الدراسات التي تناولته بين المقاربات اللغوية والبلاغية والأسلوبية والتداولية، إلا أنّ معظمها ركّز على جانبٍ محدد من الخطاب أو اقتصر على نماذج جزئية من خطب الإمام الحسين (عليه السلام) ومن أبرز هذه الدراسات:

– كتاب «الخطاب الحسيني في معركة الطف: دراسة لغوية وتحليل» للدكتور عبد الكاظم محسن الياسري (٢٠٠٩)، الذي تناول الخطاب الحسيني من منظور لغوي، مركّزًا على بعض الظواهر النحوية والدلالية، دون أن يتناول الخصائص الأسلوبية على المستويين الصوتي والتركيبي بوصفهما بنية متكاملة في تشكيل الخطاب.

– كما قدّم محسن تركي عطية دراسة بعنوان «خطبتا الإمام الحسين (عليه السلام) في معركة الطف: دراسة أسلوبية»، المنشورة في مجلة مركز دراسات الكوفة (العدد الرابع والعشرون)، واقتصرت على تحليل خطبتين من خطب الإمام في واقعة الطف، الأمر الذي جعل نتائجها مرتبطة بنصوص محددة، دون أن تشمل بقية الخطب التي ألقاها الإمام في مراحل النهضة الحسينية المختلفة.

– وفي مجال الدراسات التداولية، تناولت دراسة «استراتيجيات الخطاب في خطب الإمام الحسين: دراسة تداولية» للدكتور آلاء محمد لازم، المنشورة في مجلة الكلية الإسلامية الجامعة (العدد ٤٣، ج٣، ١٤٣٨هـ)، الاستراتيجيات التداولية وآليات التواصل في الخطاب الحسيني، مع التركيز على البعد الحجاجي والتواصلي، دون الوقوف عند الظواهر الأسلوبية الصوتية والتركيبية.

– أما دراسة «أساليب الطلب في خطب الإمام الحسين (عليه السلام): دراسة نحوية بلاغية» لحوراء غازي، المنشورة في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية (المجلد ١٨، العدد الأول، ٢٠١٥)، فقد خصّت جانبًا واحدًا من التراكيب الإنشائية، وهو أساليب الطلب، من منظورين نحوي وبلاغي، ولم تتناول بقية البنى التركيبية أو الظواهر الصوتية في الخطاب.

– وكذلك قدّم عدنان كاظم مهدي دراسة بعنوان «قراءة في أساليب خطب الإمام الحسين (عليه السلام)» (الجامعة الإسلامية، النجف الأشرف، ٢٠١٧)، تناول فيها عددًا من الأساليب البلاغية واللغوية في الخطب، إلا أنها جاءت في إطار قراءة عامة، ولم تُعالج الظواهر الأسلوبية وفق منهج تحليلي يجمع بين المستويين الصوتي والتركيبي.

يتضح من خلال استعراض هذه الدراسات أن الخطاب الحسيني حظي باهتمام الباحثين من زوايا متعددة، غير أن الدراسات التي تناولت الظواهر الأسلوبية في جميع خطب الإمام الحسين (عليه السلام) منذ خروجه من

المدينة المنورة حتى واقعة كربلاء، من خلال الجمع بين المستويين الصوتي والتركيبي وربطهما بوظائفهما الدلالية والتأثيرية، ما تزال محدودة. ومن هنا تأتي هذه الدراسة لسدّ هذا الفراغ، من خلال تقديم قراءة أسلوبية شاملة تكشف عن العلاقة بين البنية الصوتية والبنية التركيبية في بناء الخطاب الحسيني، وإبراز أثرهما في تحقيق المقاصد الدلالية والإقناعية والجمالية.

٢. الأسلوبيّة ومستوياتها

الأسلوبية من أهم المجالات الدراسية التي تحاول البحث في ميدان اللغة فأهمية التحليل الأسلوبي تتمثّل في أنّه يكشف عن المدلولات الجمالية في النص، وذلک عن طريق النفاذ إلى مضمونه وتجزئة عناصره والتحليل بهذا يمكن أن يمهدَّ للناقد الطريق ويمدُّه بمعايير ومقاييس موضوعية يستطيع على أساسها ممارسة عمله النقدي(فتح الله، ٢٠٠٨: ٥٣). تهتمّ الأسلوبية بالجانب العاطفي للظاهرة اللغوية، إذ تسعى الأسلوبية إلى تتبع الكثافة الشعورية التي تميّز النص الأدبي، وهكذا فإنّ الأسلوبية تدرس «وقائع التعبير في اللغة المنظمة من ناحية محتواها العاطفي، أي التعبير عن وقائع الإحساس عبر اللغة، وفعل اللغة في الإحساس.»(عبدالمطلب، ١٩٩٤: ١٢)

يمكننا القول إنّ الأسلوب هو طريقة الكاتب في تشكيل المادة اللغوية، وعلى هذا الإعتبار نعرّف الأسلوبية على أنها منهج نقدي حديث، يتناول النصوص الأدبية بالدراسة، على أساس تحليل الظواهر اللغوية، للكشف عن جمالية النصوص، وتقييم أسلوب مبدعها محددةً المميزات الأسلوبية التي يتميز بها عن غيره من المبدعين وهكذا تبدو أهمّ سمات المنهج الأسلوبي هي: «إستكشاف العلاقات اللغوية القائمة في النص، والظواهر المميزة التي تشكل سمات خاصة فيه، ثمَّ محاولة التعرّف على العلاقات القائمة بينها وبين شخصية الكاتب، الذي يشكل مادته اللغوية وفق أحاسيسه ومشاعره التي تجعله يلحّ على أساليب معينة، ويستخدم صيغاً لغوية تشكل في مجملها ظواهر أسلوبية لها دلالتها في النصّ الأدبي» (عودة، ٢٠٠٦: ٩٩)

يجب القول أن كل دراسة أسلوبية للنصوص . بغض النظر عن المذهب الأسلوبي . يحتاج إلى منهج معين، ومن أبرز المناهج التي يتفق عليها غالبية الأسلوبيين التي يتم من خلالها تحليل ودراسة العمل الفني هي: المنهج أو المستوى الصوتى، والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي.(الداية، ١٤١٦، ج٢: ٤٠٢)

١. المستوى الصوتي: في هذا المستوى يتم دراسة التردد الصوتي الموجود في العمل الفني والذي قد يستطيع إلقاء مفاهيم عميقة وخاصة.

٢. المستوى التركيبي أو النحوي: في هذا المنهج يتم دراسة تراكيب الجمل من خلال محور المجاورة. إنّ قصر الجمل وطولها قد يكون مؤشرا من مؤشرات أسلوب العمل الفني(شميسا، ١٣٧٤: ٢١٦) كما يمكن معرفة أسلوب العمل من خلال إسمية أو فعلية الجمل أو من خلال زمنها.

٣. المستوى الدلالي (البلاغي): في هذا المستوى كما يتضح من إسمه يتم بحث المهارات الدلالية للعمل الفني والإنحراف السلوكي للعمل وكذلک يدرس الجانب الإبداعي في هذا العمل؛ إذن ففي تحليل الأعمال الفنية بواسطة المستوى الدلالي يتم دراسة مواضيع من علم البلاغة والبيان مثل: التشبيه، والإستعارة، والكناية، وكذلک جوانب الأخرى من علم البديع مثل: الإيهام، والتناسب، و ...

٣. الظواهر الأسلوبية للخطاب الحسيني في واقعة كربلاء

١. ٣. المستوى الصوتي

يتم دراسة طرق توظيف الوحدات الصوتية (الجرس والإيقاع) في الموضعة اللغوية وكذلک الإستعمال البلاغي للأصوات. إنّ أهمية التغييرات الصوتية لا تنحصر على عناصر الظاهرية للغة؛ بل إنّ النظام الصوتي له تأثير على تغيير معنى الجمل وكذلک الإيقاعات النحوية لها تأثير عميق على الكلام ودلالاته.

في الدراسة الصوتية لخطب الإمام الحسين (ع) ندرس الخطب التي تبرز فيها ظاهرة الأسلوبية بشكل كبير، وإنّ هذه الظواهر الأسلوبية تشمل: التكرار، ونظم الإيقاع الداخلي، والسجع.

١. ١. ٣. التكرار

إن أسلوب التكرار يعد من إحدى الظواهر الأسلوبية في خطب الإمام الحسين، وله دور كبير في جماليات خطبه.إن الإمام قد استخدم أسلوب التكرار لتأكيده على أهمية المعنى وايجاد وحدة وإنسجام بين مواضيع خطبه.

– تكرار الجملة

تكرار جملة «انشدكم الله هل تعلمون»

لقد أبدع الإمام في استخدام تكرار الجملة في خطابه المبارك من اجل التأكيد على ما يريد إيصاله إلى المقابل ومن هذه الخطب هي:

«فقام عليه السلام واتكأ على قائم سيفه ونادى بأعلى صوته، فقال: «أنشدكم الله هل تعرفونني؟» قالوا: اللهم نعم، أنت ابن رسول الله وسبطه. قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله؟، قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن أمي فاطمة بنت محمد؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن أبي علي بن أبي طالب؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جدتي خديجة بنت خويلد أول نساء هذه الأمة إسلاماً؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جعفر الطيار في الجنة عمي؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله أنا متقلده؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله أنا لا بسها؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله

هل تعلمون أن علياً (عليه السلام) كان أول الناس إسلاماً وأجزلهم علماً وأعظمهم حلماً وأنه ولي كل مؤمن ومؤمنة؟ قالوا: اللهم نعم.؟!!» (ابن طاووس، ٢٠١٤: ١٤٦)

لم يكن تكرار جملة «أنشدكم الله هل تعلمون» مجرد وسيلة للتأكيد، بل شكّل ظاهرة أسلوبية جمعت بين البعدين الصوتي والتركيبي. فقد أوجد التكرار نسقًا تركيبيًا متوازيًا وإيقاعًا داخليًا متماسكًا أسهم في ترابط الخطاب وترسيخ معانيه في ذهن المتلقي، كما أحدث نغمة موسيقية منتظمة ناتجة عن تكرار البنية اللفظية نفسها، مما أكسب الخطاب جرسًا إيقاعيًا يلفت السامعين ويزيد من قوة التأثير. وأدّى هذا التكرار كذلك وظيفة حجاجية؛ إذ استدرج الإمام (عليه السلام) المخاطبين إلى الإقرار بحقائق ثابتة، ثم بنى عليها إثبات شرعية موقفه وإبطال موقف خصومه من خلال تدرج منطقي في عرض الحجج. وهكذا جاء التكرار عنصرًا أسلوبيًا جمع بين الموسيقى اللفظية، والإيقاع الداخلي، والقوة الإقناعية، مما عزز الأثر الدلالي والجمالي للخطاب.

تكرار جملة «اشتد غضب الله»

«اشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً، واشتد غضبه على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة، واشتد غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه، واشتد غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم» (المجلسی، ١٤٠٣: ١٢).

يُعدُّ تكرار جملة «اشتد غضب الله» من أبرز مظاهر التكرار التركيبي في هذا الخطاب، إذ كررها الإمام الحسين (عليه السلام) أربع مرات، فجاء التكرار وسيلةً لتوكيد المعنى وتصعيده، وربط صور الانحراف جميعها بعاقبة واحدة هي الغضب الإلهي. كما أسهم البناء التركيبي المتوازي، القائم على تكرار الصيغة نفسها ثم بيان سبب الغضب، في تحقيق ترابط دلالي وإيقاعي بين أجزاء الخطاب. وعلى المستوى الصوتي، أحدث هذا التكرار إيقاعًا داخليًا ونغمةً موسيقيةً منتظمة نتجت عن تكرار الصيغة الافتتاحية، مما منح الخطاب قوةً نبريةً لفتت انتباه السامعين. كما عززت الأصوات الشديدة، ولا سيما الدال في «اشتد» والباء في «غضب»، الجرس الموسيقي للنص، فجاء الإيقاع منسجمًا مع مقام التحذير والوعيد. ولم يقتصر أثر التكرار على الجانب الموسيقي، بل أدى وظيفةً دلاليةً أيضًا؛ إذ ربط الإمام (عليه السلام) بين الجرائم التي استوجبت غضب الله وبين جريمة الاعتداء عليه، فغدا التكرار أداةً أسلوبيةً جمعت بين الإيقاع الصوتي، والتوازي التركيبي، والتصعيد الدلالي، مما زاد من قوة الخطاب وتأثيره في المتلقي.

– تكرار اللفظة

إنّ تكرار المفردات في كلام الإمام حسين يعتبر من الظواهر الأدبية والموسيقية لخطبه وقد نشاهد هذه الظاهرة بكثرة، إن الإمام حسين عليه السلام في إستخدامه لهذه الصناعة يبين لنا مشاعره وأحاسيسه بالإضافة إلى جمالية الإيقاع والموسيقى وفي ما يلي نذكر عدّة نماذج لظاهرة تكرار المفردات في خطب الإمام حسين عليه السلام:

تكرار (هل من)

«ونادى: هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله؟ هل من موحدٍ يخاف الله فينا؟ هل من مغيثٍ يرجو الله بإغاثتنا؟ هل من معينٍ يرجو ما عند الله في إعانتنا؟» (ابن طاووس، ٢٠١٤: ١٦٩)..

يُعدُّ تكرار التركيب «هل من»، أربع مرات من أبرز مظاهر التكرار التركيبي في هذا الخطاب، إذ جاء لتوكيد النداء واستنهاض المخاطبين لنصرة الإمام (عليه السلام) والدفاع عن حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كما أسهم في بناء نسق تركيبي متوازٍ أضفى على الخطاب ترابطًا دلاليًا وتصاعدًا حجاجيًا. وقد تدرجت النداءات من طلب الذب عن الحرم إلى الدعوة إلى التوحيد والإغاثة والإعانة، بما يعكس شمول الرسالة وحرص الإمام على إقامة الحجة على المخاطبين. وعلى المستوى الصوتي، أحدث تكرار الصيغة نفسها إيقاعًا داخليًا ونغمةً موسيقيةً حزينة تتناسب مع طبيعة المقام، وعززها تكرار حرف النون في «من» وما يرافقه من غنةٍ تمنح الأداء امتدادًا صوتيًا وانسيابًا إيقاعيًا يوحيان بالحزن والاستغاثة. كما أسهم تكرار الأفعال المضارعة «يذب، يخاف، يرجو، يعين» في تعزيز الإيقاع الداخلي وإبراز استمرارية الدعوة إلى النصرة والإغاثة (حسن، ٢٠٠٨: ١٦٥) ولم يقتصر أثر هذا التكرار على الجانب الموسيقي، بل أدى وظيفةً دلاليةً أيضًا، إذ عبّر عن عمق الأسى وقلة الناصر، وفي الوقت نفسه كشف عن إصرار الإمام (عليه السلام) على مواصلة الدعوة وإتمام الحجة حتى آخر لحظة. ومن ثمّ، جاء تكرار «هل من» تقنيةً أسلوبيةً جمعت بين الإيقاع الموسيقي، والتوازي التركيبي، والتأثير الدلالي والحجاجي، مما أكسب الخطاب قوةً تعبيريةً وتأثيرًا عميقًا في المتلقي.

تكرار (صبرا)

«فصاح الحسين (عليه السلام) في تلك الحال: صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي صبراً، فوالله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً.» (ابن طاووس، ٢٠١٤: ١٦١)

تكرار لفظة «صبراً» ثلاث مرات من أبرز مظاهر التكرار الصوتي في هذا المقطع، إذ أسهم في إيجاد إيقاع داخلي متناسق يتلاءم مع طبيعة الموقف الخطابي. وقد أكسب تكرار اللفظة نبرةً صوتيةً واضحةً، وجعلها محورًا إيقاعيًا يرسخ في ذهن المتلقي. كما أن تعاقب أصوات الصاد المفخمة، والباء المجهورة، والراء المكررة، ثم انتهاء الكلمة بالألف الممدودة، أوجد جرسًا صوتيًا منسجمًا عزّز الأثر السمعي للخطاب. ومن ثمّ، لم يكن تكرار «صبراً» مجرد إعادة لفظية، بل شكّل وسيلةً صوتيةً فاعلة أسهمت في تقوية الإيقاع الداخلي وإبراز القوة التعبيرية للخطاب الحسيني.

تكرار لفظ «إن تكن»

«فإن تكن الدنيا تعد نفيسة فإن ثواب الله أعلا وأنبل وإن تكن الأبدان للموت أنشئت فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل وإن تكن الأرزاق قسماً مقدراً فقلة حرص المرء في السعي أجمل وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل.» (المصدر نفسه)

أسهم تكرار التركيب «إن تكن» في هذا النص، وقد ورد ستّ مرات، في بناء إيقاع صوتي منتظم قائم على تكرار البنية الافتتاحية للجمل، مما أكسب الخطاب نغمة موسيقية متوازنة وسهّل ترسيخ المعاني في ذهن المتلقي. كما أن تكرار الأصوات المشتركة في هذا التركيب، ولا سيما النون والتاء والكاف، أحدث انسجامًا صوتيًا بين الجمل، وعزّز وحدة الإيقاع الداخلي للنص. ويُلاحظ أن هذا النسق الصوتي المتكرر يهيئ السامع لتلقي كل جملة جديدة في إطار إيقاعي واحد، الأمر الذي يزيد من قوة التأثير السمعي ويمنح الخطاب تماسكًا وانسيابًا صوتيًا.

۲. ۱. ۳. تكرار الصوتي للأصوات (الحروف)

– تكرار حرف تاء

حدثت ظاهرة أسلوبية وهي تكرار حرف «التاء» في كلمات (تنكرت، وتغيرت، واستمرت) وحرف التاء منح النص سمة موسيقية تناسبت مع المعنى الذي يريد يعبر عنه الإمام (عليه السلام) ومن أبرز صفات هذا الحرف يدل على التفاهة، و«حرف التاء مهموس انفجاري شديد وبالرغم مما أسند إلى هذا الحرف من شدة وانفجار وما وصف بالقرع بقوة فإنَّ صوته يوحي بملس بين الطراوة والليونة ومن معانيه الشدة والغلظة والقساوة والقوة وكذلك تدل بعض معانيه على الضعف والرقة والتفاهة» (حسن، ۲۰۰۸: ۵۰)

فاستطاع الإمام (عليه السلام) أن يسخر هذا لوعظ الناس وتحذيرهم من الدنيا وأنها دنيا لا قيمة لها وأنها تافهة فكان لهذا الكلام تأثيرا كبيرا في أسماع المخاطبين وقلوبهم وكان الغرض من التكرار هو التأكيد على تفاهة الدنيا وأنها فانية لا قيمة لها ولم يبق منها إلَّا القليل فالإمام (عليه السلام) أراد أن يوبخهم ويقرع اسماعهم بهذا الخطاب ذات السمة الموسيقية.

– تكرار حرف ميم

«تبّاً لكم أيتها الجماعة وترحا حين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفا لنا في أيمانكم وحششتم علينا نارا اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم ألبا لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم فهلا لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجأش طأمن والرامي لما يستحصف ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبى وتداعيتم إليها كتهافت الفراش فسحقا لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الآثام ونفثة الشيطان ومطفئ السنن أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون أجل والله غدر فيكم قديم وشجت إليه أصولكم وتأزرت عليه فروعكم فكنتم أخبث ثمر شجا للناظر وأكلة للغاصب ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام.» (ابن طاووس، ۲۰۱٤: ۱۵۵)

يُعدُّ تكرار حرف الميم من أبرز الظواهر الصوتية في هذا المقطع، إذ ورد بكثرة في ألفاظ متعددة، مما جعله الصوت المهيمن على النسيج الصوتي للنص، وأسهم في إحداث إيقاع داخلي متماسك وجرس موسيقي منسجم مع طبيعة الخطاب. ويُعدّ الميم صوتًا شفويًا مجهورًا يتصف بالغنة، ويؤدي انطباق الشفتين عند النطق به إلى إضفاء امتدادٍ صوتي يعزز تماسك الجمل ويقوي أثرها السمعي. ويزداد هذا الأثر بارتباط الميم بتكرار ضمير المخاطبين «كم» في ألفاظ مثل: «فأصرخناكم، إيمانكم، عدوكم، أوليائكم، فيكم، أصولكم، فروعكم»، مما أوجد نسقًا صوتيًا متكررًا أبقى المخاطبين في دائرة المواجهة المباشرة، وعزز نبرة التوبيخ والتقريع. ولم يقتصر تكرار الميم على الجانب الموسيقي، بل أدى وظيفةً دلاليةً أيضًا؛ إذ انسجم مع المقام الذي يفيض بالألم والأسى، وكشف عن إصرار الإمام (عليه السلام) على فضح مواقف خصومه وإقامة الحجة عليهم، فجاء التكرار عنصرًا أسلوبيًا جمع بين الإيقاع الصوتي، والتماسك النصي، والتأثير الدلالي.

– تكرار حرف كاف

وهنا قد أجاد الإمام الحسين (عليه السلام) من خلال تكرار الحرف عندما توجه بالدعاء على الأعداء قائلا: «اللهمَّ احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف فيسومهم كأسا مصبرة فإنهم كذبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير» (المصدر نفسه)

تكرر حرف «الكاف» في بداية الكلمات مرتين (كأسا، وكذبونا) وتكرر في نهاية الكلمة ثلاث مرات (عليك، إليك، إليك). تكرار حرف الكاف يدل على معاني كثيرة هما الاحتكاك والشدة والقوة؛ «مهموس شديد أنَّ العربي كان يلفظ حرف (الكاف) في اول المصادر بشيء من الضخامة والشدة وليس كما نلفظه اليوم من الرقة والرخاوة فكانه صوته بذلك أوحى بالشدة والضخامة أما في آخر المصادر فكان يلفظ مخفوتا به بعض الشيء وممطوطا، ليكون صوته بذلك أوحى بالاحتكاك والحرارة» (حسن، ٢٠٠٨: ٧١).

نرى أن الإمام (عليه السلام) جد وأجاد في استخدام حرف الكاف مع التراكيب لبيان ما يدور في داخله من كلام شديد اللهجة وجهه للأعداء وعبر عما في داخله من وجع وتحسر ثم بيَّن أنَّ الأعداء مصيرهم الهلاك فهذا التكرار للحرف رسم الإمام صورة تحمل في طياتها من التهديد والوعيد وزرع الرعب والخوف في قلوب الأعداء من خلال الإيقاع الموسيقي الذي أحدثه هذا الحرف وفي خطاب آخر استخدم الإمام الحسين (عليه السلام) فيه الشدة مع الأعداء.

– تكرار حرف حاء

«ثم إن الحسين خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعلٍ ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء قد لزموا

طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيَّر».(ابن الاثير، ۱۹۹۵: ۱۵۹)

تكرر حرف «الحاء» كثيرا في هذا الخطاب منها: «مستحلا، حرم، حقا، الرحمن، حدود، أحلوا، حرام، حرموا، حلال، حق» وذلك من أجل رسم صورة تدل على الشدة «حرف مهموس رقيق يحدث صوته باندفاع النفس بشيء من الشدة مع تضيق قليل مرافق في مخرجه الحلقي فيحتك النفس بأنسجة الحلق الرقيقة فيحدث صوت أشبه ما يكون بالحفيف». (حسن، ۲۰۰۸: ۱۹۰)

فالإمام استطاع أن يسخر خاصية هذا الحرف في خطابه ضد الأعداء وأن غرض الإمام من التكرار هو التهديد والوعيد من خلال بيان شخصية الظالم والتهديد بعدم اتباعه بل لا بدَّ من تغييره بكل الطرق والثورة ضد الطغاة ثم بيَّن الإمام (عليه السلام) ان مصيرهم إلى الهلاك والثبور وهذا التكرار أحدث جرسا موسيقيا صاخبا له القدرة على التأثير في نفوس الناس.

۳. ۱. ۳. السجع

إنّ أحد العناصر الأسلوبية الإيقاعية في خطب الإمام حسين عليه السلام بعنصر السجع، وقد يكون السجع أبرز علائم موسيقية خطب نهج البلاغة وقد خلق هذا السجع الموسيقى الخارجية للخطب ويجلب إنتباه القارئ في بداية قراءته لها.

۱. يقول الإمام حسين عليه السلام في خطابه مع اصحابه و أهل بيته عليهم السلام:

«لن تشذَّ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقر بهم عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصبحاً إن شاء الله» (المجلسی، ۱٤۰۳، ج٤٤: ۳٦٦)

اعتمد الإمام الحسين (عليه السلام) في هذا المقطع على السجع من خلال الفواصل «عينه، وعده، مهجته، نفسه»، فجاءت الألفاظ مختلفة في بنيتها الصرفية، لكنها اتفقت في الفاصلة الصوتية المنتهية بالهاء، مما أكسب الخطاب إيقاعًا داخليًا منسجمًا وجرسًا موسيقيًا هادئًا ينسجم مع طبيعة المقام. وقد أسهم توحيد الفواصل في تحقيق التوازن الصوتي بين الجمل وربطها في نسق إيقاعي واحد، فازدادت قوة التأثير السمعي وترسخت العبارات في ذهن المتلقي.

ولم تقتصر وظيفة السجع على الجانب الموسيقي، بل أدّى دورًا دلاليًا أيضًا؛ إذ جاء الإيقاع الهادئ منسجمًا مع مضامين الخطاب التي تقوم على الطمأنينة والثبات واليقين بوعد الله، لأن حرف الهاء هنا يدل على «العطف والرحمة والحنان والحب والحياة»(طهماسبی، ۲۰۲۰: ۳۷). كما أن تعاقب الفواصل المتجانسة يعكس وحدة المعنى وترابطه، ويؤكد تلاحم الأفكار التي تربط بين رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته، وأصحابه،

والدعوة إلى التضحية في سبيل الله. ومن ثمّ، أسهم السجع في تحقيق التوافق بين الإيقاع الصوتي والدلالة، فلم يكن مجرد وسيلة لتزيين الكلام، بل أصبح عنصرًا فاعلًا في إبراز البعد الإيماني والوجداني للخطاب الحسيني.

٢. الإمام الحسين (عليه السلام) استخدم أسلوب السجع حينما خاطب الأعداء:

«ثم إن الحسين خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن رسول الله، (صلى الله عليه وسلم)، قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله، (صلى الله عليه وسلم)، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعلٍ ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيّر» (ابن الأثير، ١٩٩٥، ج٣: ١٥٩).

هذه الفقرة تتضمن السجع فى هذه الكلمات: «سلطانا، جائرا، مستحلا، ناكثا، مخالفا». من خلال هذا المقطع السجعي الرائع بيَّن الإمام الحسين (عليه السلام) التصدي بكل الطرق للظالمين وعدم الرضوخ اليهم وحذرهم بأنَّهم إذا لم يغيروا واقعهم فإنَّ الله سوف يعاقبهم كما يعاقب الظالمين فاختار حرف (الألف) الذي يعبر عن امتداد الظالم بالتطاول على الله ورسوله وأهل بيته والتطاول على الناس فرسم لنا صورة التصدي للظالمين وهذه الصورة تحمل في طياتها سمة موسيقية تقرع الأسماع. في هذا القسم نشاهد السجع الآخر فى الكلمات التالية: «لزموا، تركوا، أظهروا، عطلوا، استأثروا، أحلوا، حروا». إنَّ حرف الألف أعطى إيقاعا موسيقيّاً له تأثير على أسماع وقلوب المخاطبين ومن خلاله بيَّن الإمام (عليه السلام) استمرار القوم على تعطيل حدود الله بتحليل الحرام وتحريم الحلال أي مخالفتهم وعصيانهم لأحكام الله وعدم طاعتهم لرسوله وأهل بيته (عليهم السلام) وكان استخدام حرف «الألف» له دور كبير في رسم صورة التوبيخ وفضح تصرفات الأعداء وأنَّ الأعداء لاسيما السلطة الحاكمة على امتداد مستمر بالطغيان والظلم وأكل الحرام والذي رسم كل هذه الصورة ذات الإيقاع الجميل من خلال تناسب حرف الألف مع الكلمات والمعنى و«حرف الألف يدل على الامتداد.» (حسن، ٢٠٠٨: ٥٧)

٣-«ابْنَ الزَّرْقَاءِ أَأَنْتَ تَقْتُلُنِي أَمْ هُوَ؟ كَذَبْتَ وَاللَّهِ وَلَؤُمْتَ!» (ابن الأثير، ١٩٩٥، ج٣: ١٥٩)

يتجلّى السجع في قوله: «كذبتَ والله ولؤمتَ»، إذ اتفقت الكلمتان في الفاصلة الصوتية المنتهية بالتاء، مما أكسب العبارة جرسًا موسيقيًا قويًا وإيقاعًا متوازنًا يتناسب مع طبيعة الموقف الخطابي. وقد أسهم تقارب الفاصلتين في تحقيق انسجام صوتي عزّز قوة الأداء، وجعل العبارة أكثر رسوخًا في سمع المتلقي.ولم يقتصر السجع على الجانب الموسيقي، بل أدّى وظيفة دلالية أيضًا؛ إذ جاء الإيقاع الحاد والمتقارب منسجمًا مع مقام التوبيخ والإنكار، فعبّر عن حزم الإمام الحسين (عليه السلام) وثباته في مواجهة خصمه، وأبرز رفضه القاطع لما صدر منه. ومن ثمّ، تحقق التوافق بين الإيقاع الصوتي والدلالة، فأصبح السجع أداةً أسلوبيةً أسهمت في تكثيف المعنى، وتقوية الأثر الانفعالي، وإبراز الموقف الحاسم للإمام في هذا السياق.

۲. ۳. المستوى التركيبي

۱. ۲. ۳. الأساليب الإنشائية

رغم كثرة الأساليب الإنشائية مثل أساليب الأمر، والنهي، والنداء، والإستفهام، والترجي، والتمني في خطب الإمام الحسين (ع) إلا إننا وخلال دراستنا لجماليات أسلوب الإمام (ع) نقتصر على أهم هذه الأساليب وأكثرها إستعمالا في خطبه، وكذلک الأساليب الإنشائية التي لها دلالات جمالية وتحظى بإنسجام تام بين المعنى واللفظ المستعمل. والآن سنقوم بدراسة كل من هذه الأساليب وكيفية إستعمالها من قبل الإمام الحسين في خطبه.

– أسلوب الامر

كما ذكرنا سابقا أن فعل الأمر يعتبر أكثر الأساليب الإنشائية إستعمالا في خطب الامام حسين (ع) ويلعب فعل الأمر دورا كبيرا في تبيين مشاعر وإنفعالاته الداخلية. قلما إستخدم الإمام أفعال الأمر بمعناها الحقيقي فقد عدل بها عن معانيه الحقيقية وإستخدمها في المعاني المجازية.

لقد أبدع وأجاد الإمام الحسين (عليه السلام) في استخدام أسلوب الأمر لما يناسب خطابه المبارك واستخدمه في خطبه الكثيرة منها الخطبة الآتية:

۱. «لا محيص عن يوم خط بالقلم رضى الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجر الصابرين لن تشذَّ عن رسول الله (صلى الله عليه واله) لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده من كان باذلا فينا مهجته وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل مصبحا إن شاء الله تعالى».(ابن طاووس، ۲۰۱٤: ۱۲٦)

استعمل الإمام الحسين (عليه السلام) في هذا المقطع أسلوب الأمر بصيغة لام الأمر في قوله: «فليرحل معنا»، وهي صيغة خرجت عن معنى الإلزام المباشر إلى معنى الدعوة والترغيب والاختيار. فلم يفرض الإمام على أحدٍ مرافقته، وإنما جعل الالتحاق برحلته قائمًا على القناعة والاستعداد للتضحية، وهو ما يتضح من تقديم الشرط: «من كان باذلًا فينا مهجته وموطنًا على لقاء الله نفسه» قبل الأمر بالرحيل.

وقد جاء الأمر منسجمًا مع سياق الخطاب؛ إذ لم يكن المقصود مجرد الانتقال المكاني، بل الدعوة إلى موقفٍ قائم على الإيمان واليقين والثبات. ولذلك اكتسب فعل الأمر بعدًا تداوليًا، إذ تحوّل من طلب الفعل إلى استنهاض الهمم واختبار صدق المواقف، فلم يخاطب الإمام جميع الناس، وإنما وجّه خطابه إلى من استوفى شروط التضحية والإخلاص.

ومن الناحية الأسلوبية، أسهم اقتران الشرط بالأمر في بناء خطاب حجاجي متماسك؛ فالشرط يحدد صفات المخاطب، ثم يأتي الأمر نتيجةً طبيعيةً له، مما أكسب الخطاب قوةً في الإقناع، وأبرز دقة الإمام (عليه السلام) في اختيار الصيغة التي تجمع بين الترغيب والالتزام الأخلاقي، بعيدًا عن الإكراه أو الإلزام المباشر.

٢. «أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً عني خيراً، ألا وإني لأظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، وإني قد أذنت لكم جميعاً فانطلقوا في حل ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعاً» (ابن الأثير، ١٩٩٧، ج٣: ١٦٦).

استعمل الإمام الحسين (عليه السلام) في هذا المقطع أسلوب الأمر في ثلاثة مواضع «فانطلقوا»، «فاتخذوه»، و «ليأخذ»، إلا أن هذه الأوامر لم ترد على معناها الحقيقي الدال على الإلزام، وإنما خرجت إلى معاني الإذن والتخيير والإرشاد. ويؤكد ذلك قوله قبلها: «وإني قد أذنت لكم جميعًا»، إذ جاء الإذن تمهيدًا للأوامر، فانتفى معنى الإكراه، وأصبحت صيغ الأمر وسيلةً لرفع الحرج عن المخاطبين وإتاحة حرية الاختيار لهم.

جاء تتابع أفعال الأمر في نسق متدرج؛ فبدأ بالأمر بالانطلاق، ثم بالإفادة من ظلمة الليل، ثم بمرافقة أهل بيته، وهو تدرج يكشف عن إحكام بناء الخطاب وتسلسل أفكاره. كما أن اقتران الأمر بالدعاء في قوله: «فجزاكم الله جميعًا خيرًا» أضفى على الخطاب بعدًا وجدانيًا، فاجتمع فيه الحزم والرحمة، مما يعكس العلاقة الإنسانية التي ربطت الإمام (عليه السلام) بأصحابه. أدّت صيغ الأمر وظيفةً إنجازية تجاوزت مجرد طلب الفعل؛ إذ مثّلت إعلانًا صريحًا برفع البيعة عن أصحابه، وإقامةً للحجة عليهم، بحيث يكون بقاؤهم معه نابعًا من الإيمان والاختيار، لا من الإلزام. ومن ثمّ، تحوّل أسلوب الأمر إلى وسيلة خطابية أبرزت سموّ أخلاق الإمام (عليه السلام)، وعمق ثقته بأصحابه، وقوة خطابه الإقناعية في أصعب المواقف.

– أسلوب النهي

كان لأسلوب النهي في خطب الإمام الحسين (عليه السلام) أثرٌ واضحٌ ومن هذه الخطب خطابه الموجه لابن سعد «ونظر إلى ابن سعد واقفا في صناديد الكوفة فقال: الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالا بعد حال، فالمغرور من غرته والشقي من فتنته، فلا تغرَنكم هذه الدنيا، فإنَّها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيب طمع من طمع فيها.»(المصدر نفسه)

استعمل الإمام الحسين (عليه السلام) أسلوب النهي في قوله: «فلا تغرنكم هذه الدنيا»، وقد تحقق النهي بـ «لا» الناهية الداخلة على الفعل المضارع، إلا أن هذه الصيغة خرجت عن معناها الأصلي الدال على المنع إلى معنى الوعظ والتحذير والتنبيه. فقد سبق النهيَ تمهيدٌ يصور حقيقة الدنيا بأنها «دار فناء وزوال» وأنها «متصرفة بأهلها حالًا بعد حال»، فجاء النهي نتيجةً منطقيةً لهذا التصوير، مما أكسب الخطاب ترابطًا دلاليًا وحجاجيًا. لم يكن المقصود مجرد النهي عن الاغترار بالدنيا، بل بناء قناعة لدى المخاطب بخطورة التعلق بها؛ ولذلك علّل الإمام نهيه بقوله: «فإنها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيب طمع من طمع فيها»، فانتقل الخطاب من النهي إلى بيان أسبابه وآثاره، الأمر الذي عزّز قوة الإقناع، وربط الحكم بدليله. أدّى أسلوب النهي وظيفةً إرشاديةً تتجاوز المنع المباشر، إذ وجّه الإمام خطابه حتى إلى خصومه، مما يعكس حرصه على إقامة الحجة ودعوتهم إلى مراجعة

مواقفهم قبل فوات الأوان. وبهذا أصبح النهي وسيلةً خطابيةً تجمع بين التحذير والإقناع، وتبرز القيم الإصلاحية التي يقوم عليها الخطاب الحسيني، بعيدًا عن أسلوب التهديد أو الإكراه.

وفي خطبة أخرى كان النهي فيها واضحا وجليا من خلال مخاطبة الإمام الحسين (عليه السلام) للأعداء وهذا نص كلامه «فقال: أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم علي، وحتى أعذر عليكم، فان أعطيتموني النصف، كنتم بذلك أسعد وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم " فاجمعوا رأيكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين»(المجلسي، ١٤٠٣، ج٤٥: ٥)

استعمل الإمام الحسين (عليه السلام) أسلوب النهي في قوله: «ولا تعجلوا»، وقد تحقق بـ «لا» الناهية الداخلة على الفعل المضارع، إلا أنه خرج من معناه الأصلي إلى معنى الإرشاد والتوجيه. وقد جاء النهي منسجمًا مع سياق الخطاب، إذ سبقه الأمر بقوله: «اسمعوا قولي»، وأعقبه التعليل بقوله: «حتى أعظكم بما يحق لكم علي وحتى أعذر إليكم»، فتشكل بذلك بناءٌ حجاجي متدرج يبدأ باستثارة الانتباه، ثم الدعوة إلى التروي، وأخيرًا عرض الحجة. ويؤدي هذا الأسلوب وظيفةً إقناعية؛ إذ لم يقتصر على النهي عن التعجل، بل دعا المخاطبين إلى الإنصات ومراجعة مواقفهم قبل إصدار الحكم، مما يعكس حرص الإمام (عليه السلام) على إقامة الحجة وإزالة العذر بالحكمة والبرهان. ومن ثمّ، جاء النهي أداةً خطابيةً تؤكد الطابع الإصلاحي للخطاب الحسيني، وتبرز اعتماد الإمام على الحوار والإقناع قبل المواجهة.

– أسلوب الاستفهام

لأسلوب الاستفهام الأثر الواضح في خطب الامام الحسين (عليه السلام) لما يناسب المقام والحالة التي تحتاج إلى هذا الأسلوب فنلاحظ استخدام الإمام (عليه السلام) لأسلوب الاستفهام لكشف الصفات الذميمة لخصومه الذين عاضدوا الأعداء حينما خاطبهم قائلا:

«قال (عليه السلام): تبا لكم أيتها الجماعة وترحا حين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفا لنا في أيمانكم وحششتم علينا نارا اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم ألبا لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم فهلا لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجأش طأمن والرامي لما يستحصف ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبى وتداعيتم إليها كتهافت الفراش فسحقا لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم و عصبة الآثام ونفثة الشيطان ومطفئ السنن أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون أجل والله غدر فيكم قديم وشجت إليه أصولكم وتأزرت عليه فروعكم فكنتم أخبث ثمر شجا للناظر وأكلة للغاصب.»(ابن طاووس، ٢٠١٤: ١٥٥)

استعمل الإمام الحسين (عليه السلام) أسلوب الاستفهام في قوله: «أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون؟»، وقد تحقق الاستفهام بأداة الهمزة، إلا أنه لم يُرَدْ به طلب الجواب، وإنما خرج إلى معنى الإنكار والتوبيخ والتقريع.

فالإمام لا يستفهم عن أمر يجهله، وإنما يواجه خصومه بحقيقة موقفهم، ويستنكر انحيازهم إلى الباطل وتخليهم عن نصرة الحق.

ومن الناحية الأسلوبية، جاء الاستفهام بعد سلسلة من الأوصاف والعبارات التي كشفت انحراف القوم، مثل: «سللتم علينا سيفًا» و«حششتم علينا نارًا»، فشكّل الاستفهام ذروةً في البناء الخطابي، إذ انتقل الخطاب من عرض الأفعال إلى محاسبة أصحابها، مما أكسب النص قوةً انفعالية وتأثيرًا حجاجيًا بالغًا. كما أسهم اقتران الفعلين المضارعين «تعضدون» و«تتخاذلون» في إبراز استمرار سلوكهم؛ فصيغة المضارع توحي بتجدد هذا الموقف واستمراره، بينما أظهر التقابل بين الفعلين المفارقة الواضحة بين نصرة أهل الباطل والتخاذل عن نصرة أهل الحق، وهو ما عزز البعد الدلالي للاستفهام. وعلى المستوى التداولي، أدّى الاستفهام وظيفةً حجاجيةً واضحة، إذ تجاوز طلب المعرفة إلى إيقاظ ضمير المخاطبين، وفضح تناقض مواقفهم، وإقامة الحجة عليهم. ومن ثمّ، تحوّل الاستفهام إلى أداة خطابية مؤثرة جمعت بين التقريع والإقناع، وأسهمت في إبراز قوة الموقف وثبات الإمام (عليه السلام) في مواجهة خصومه.

ونجد في خطبة أخرى أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) قد أبدع في استخدام الاستفهام فرسم لنا صورة بلاغية رائعة كان لها الأثر في نفوس المتلقين وهي قال الراوي: ثم صاح الحسين (عليه السلام): «أما من مغيثٍ يغيثنا لوجه الله، أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله»(المصدر نفسه)

استعمل الإمام الحسين (عليه السلام) الاستفهام في قوله: «أما من مغيثٍ يغيثنا لوجه الله؟ أما من ذابٍّ يذبُّ عن حرم رسول الله؟»، وقد جاء الاستفهام بأداة الهمزة متصلة بـ «أما»، إلا أنه لم يُرَدْ به طلب الجواب، وإنما خرج إلى معنى الاستنهاض والاستغاثة. فالإمام كان يعلم قلة الناصر، لكنَّه أراد أن يوقظ الضمائر ويقيم الحجة على الحاضرين. ومن الناحية الأسلوبية، أسهم تكرار البنية الاستفهامية في تقوية الإيقاع الداخلي للخطاب، كما أبرز توازي العبارتين وحدة المعنى، فجاءت الأولى متعلقة بالإغاثة، والثانية بالدفاع عن حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مما أكسب الخطاب قوةً في التأثير وشحنةً وجدانيةً عالية، وعكس شدة الموقف الذي يعيشه الإمام (عليه السلام).

"ونادى: «هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله؟ هل من موحدٍ يخاف الله فينا؟ هل من مغيثٍ يرجو الله بإغاثتنا؟ هل من معينٍ يرجو ما عند الله في إعانتنا؟»(المصدر نفسه: ١٥٨)

يتكرر الاستفهام في هذا المقطع أربع مرات بواسطة «هل» في قوله: «هل من ذاب...؟ هل من موحد...؟ هل من مغيث...؟ هل من معين...؟»، وقد خرج الاستفهام من معناه الأصلي إلى معنى الحث والاستنهاض والتحريض. فالإمام لا ينتظر جوابًا بقدر ما يسعى إلى تحريك الضمائر واستثارة المسؤولية الدينية والأخلاقية لدى المخاطبين. كما أسهم تكرار أداة الاستفهام في إيجاد إيقاع متتابع ينسجم مع تصاعد النداء، بينما أوحت الأفعال المضارعة «يذب، يخاف، يرجو» بالتجدد والاستمرار، فارتبطت بالدعوة إلى النصرة بوصفها موقفًا عمليًا

يتطلب المبادرة. ومن ثمّ، أصبح الاستفهام وسيلةً خطابية تجمع بين الإقناع والاستنهاض، وتُبرز البعد الإنساني والإصلاحي في الخطاب الحسيني.

فی خطبة أخرى: «ابْنَ الزَّرْقَاءِ أَأَنْتَ تَقْتُلُنِي أَمْ هُوَ؟ كَذَبْتَ وَاللَّهِ وَلَؤُمْتَ»(ابن الأثير، ۱۹۹۵، ج۳: ۱۲۹)

جاء الاستفهام في قوله: «أأنت تقتلني أم هو؟» استفهامًا إنكاريًا توبيخيًا، إذ لم يكن المقصود به طلب معرفة القاتل، وإنما التقليل من شأن المخاطب وإظهار عجزه، ثم جاء الجواب الحاسم: «كذبتَ والله ولؤمتَ» ليغلق باب الجواب ويحوّل الاستفهام إلى أداة للتقريع والاستهانة. ومن الناحية الأسلوبية، أسهم تقديم الضمير «أنت» على الفعل في تركيز الاستفهام على شخص المخاطب، مما زاد من قوة المواجهة، وجعل الخطاب أكثر تأثيرًا وحدةً. وهكذا تحوّل الاستفهام إلى وسيلة بلاغية لكشف تهافت الخصم، وإبراز ثبات الإمام (عليه السلام) وقوة موقفه في مواجهة التهديد.

– أسلوب النداء

بما أنَّ المقام يحتاج إلى أسلوب يناسبه فالإمام (عليه السلام) اختار هذا الأسلوب من خلال كلامه مع مروان ابن الحكم فقال: «يا بنَ الزَّرْقَاءِ أَأَنْتَ تَقْتُلُنِي أَمْ هُوَ؟ كَذَبْتَ وَاللَّهِ وَلَؤُمْتَ»(المصدر نفسه)

جاء النداء في قوله: «يا ابن الزرقاء»، منسجمًا مع طبيعة المقام، وقد تحقق بأداة «يا»، إلا أنه خرج من معنى التنبيه إلى التوبيخ والتقريع والتحقير، معبّرًا عن رفض الإمام الحسين (عليه السلام) لموقف خصمه. كما أسهم العدول عن الاسم إلى النسبة «ابن الزرقاء» في زيادة الأثر الانفعالي للخطاب، إذ حمل دلالةً تقويميةً تكشف انحراف المخاطب. وأعقب الإمام النداء باستفهام إنكاري: «أأنت تقتلني أم هو؟»، فازدادت حدة الخطاب وقوته، وأصبح النداء أداةً حجاجيةً لفضح موقف الخصم وإبراز ثبات الإمام (عليه السلام) وشجاعته.

كما نلاحظ قد ورد استخدام آخر لأسلوب النداء عندما وجَّه الإمام الحسين (عليه السلام) خطابا توبيخيا شديد اللهجة كشف فيه سرائر الأعداء الذميمة حين قال (عليه السلام) «تبّاً لكم أيتها الجماعة وترحا حين استصرختمونا وإلهين فأصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفا لنا في أيمانكم وحششتم علينا نارا اقتدحناها على عدونا و عدوكم فأصبحتم ألبا لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم فهلا لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجأش طأمن والرامي لما يستحصف ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبى وتداعيتم إليها كتهافت الفراش فسحقا لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الآثام ونفثة الشيطان ومطفئ السنن أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون أجل والله غدر فيكم قديم وشجت إليه أصولكم وتأزرت عليه فروعكم فكنتم أخبث ثمر شجا للناظر وأكلة للغاصب.»(ابن طاووس، ۲۰۱٤: ۱۵۵)

ورد أسلوب النداء في هذا المقطع بصيغتين هما: «أيتها الجماعة» و«يا عبيد الأمة»، وقد تحقق النداء في الأولى بأداة «أي»، وفي الثانية بأداة «يا». ولم يأتِ النداء لمجرد تنبيه المخاطبين، بل خرج إلى معاني التوبيخ والتقريع والإنكار، إذ واجه الإمام الحسين (عليه السلام) خصومه بحقيقة مواقفهم، وكشف خذلانهم وانحيازهم

إلى أهل الباطل. كما أسهم الانتقال من النداء العام إلى النداء المباشر في تصعيد نبرة الخطاب وزيادة أثره الانفعالي، ولاسيما مع اقترانه بألفاظ الدعاء والذم، مثل: «تبًّا لكم» و«فسحقًا لكم، مما عزّز قوة الخطاب وأبرز شدة استنكار الإمام (عليه السلام) لمواقفهم.

وهناك موطن آخر استخدم الإمام الحسين (عليه السلام) لما يجول في خاطره من كلام حول استشهاد مسلم بن عوسجة مخاطبا إياه حين قال (عليه السلام): «رحمك الله يا مسلم "فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »(المصدر نفسه)

ورد أسلوب النداء في قوله: «رحمك الله يا مسلم»، وقد تحقق بأداة النداء «يا». ولم يأتِ النداء هنا بقصد تنبيه المخاطب، وإنما خرج إلى معنى الترحم والتكريم وإظهار الوفاء. فقد عبّر الإمام الحسين (عليه السلام) من خلال هذا الأسلوب عن مكانة مسلم بن عوسجة، وأبرز عمق العلاقة التي تجمع القائد بأصحابه. كما اقترن النداء بالدعاء والاقتباس القرآني: ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾(احزاب/ ٢٣)، مما أكسب الخطاب بعدًا دلاليًا مؤثرًا، وربط استشهاد مسلم بقيم الوفاء والثبات على العهد، فكان النداء وسيلةً لإبراز المكانة الرفيعة للشهيد وتعظيم تضحياته.

٢. ٢. ٣. التقديم والتأخير

في خطب الإمام حسين عليه السلام كثيرا ما نشاهد ظاهرة التقديم والتأخير تحدث في الخبر ومتعلقات الفعل (المفعول به، والظرف، والجار والمجرور) بحيث تبرز هذه الظاهرة في جميع خطبه ويدل هذا التقديم في الغالب على الحصر والتخصيص والآن سنذكر عدة أمثلة لهذه الظاهرة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

إنَّ الإمام (عليه السلام) أجاد وأبدع في أسلوب التقديم والتأخير في خطبه المباركة ومن هذه الخطب حواره مع مروان فقال مروان: إني آمرك ببيعة يزيد أمير المؤمنين، فإنَّه خيرٌ لك في دينك ودنياك، فقال الحسين (عليه السلام): «إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام، إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان»(المجلسى، ١٤٠٣، ج٤٤: ٣٢٦)

في قوله: «وعلى الإسلام السلام»، تقدَّم الخبر شبه الجملة (على الإسلام)، على المبتدأ «السلام»، وهو تقديمٌ يفيد العناية والاهتمام بما أُسند إليه الخبر. وقد جاء هذا العدول عن الأصل النحوي ليبرز خطورة الموقف الذي آل إليه حال الأمة بتولي يزيد الحكم، فكأنَّ السلام قد صار واقعًا على الإسلام نفسه. وأسهم هذا التقديم في تقوية الدلالة وإثارة انتباه المتلقي، فعبّر عن شدة الأسى والإنذار بما يهدد الدين، وجعل المعنى أكثر تأثيرًا وانسجامًا مع المقام الذي يقتضي التحذير والتنبيه.

فى خطبة أخرى: «ثم سار صلوات الله عليه حتى نزل الثعلبية وقت الظهيرة فوضع رأسه فرقد ثم استيقظ فقال: قد رأيت هاتفا يقول: أنتم تسرعون، والمنايا تسرع بكم إلى الجنة، فقال له ابنه علي: يا أبه أفلسنا على

الحق؟ فقال: بلى يا بني والذي إليه مرجع العباد، فقال: يا أبه إذن لا نبالي بالموت، فقال له الحسين (عليه السلام) جزاك الله يا بني خير ما جزا ولدا عن والد ثم بات (ع) في الموضع»(ابن طاوس، ٢٠١٤: ١٣١)

في قوله (عليه السلام): «والذي إليه مرجع العباد» تقدَّم الخبر شبه الجملة (إليه)، على المبتدأ المؤخر (مرجع العباد)، وهو تقديمٌ يفيد الاختصاص والاهتمام، إذ يؤكد أن مرجع العباد ومآلهم إلى الله تعالى وحده. وقد جاء هذا الأسلوب منسجمًا مع المقام، ليعبّر عن يقين الإمام الحسين (عليه السلام) بقضاء الله وتسليمه المطلق لإرادته، مما أكسب الخطاب قوةً دلاليةً وأبرز معاني الإيمان والثبات والاطمئنان.

وفي خطبة أخرى نلاحظ أنَّ الموقف كان يحتاج إلى تقديم الخبر فقام الإمام الحسين (عليه السلام) بذلك عندما كان مخاطبا لمسلم ابن عوسجة عندما سقط سريعا على رمضاء كربلاء «ثم خرج مسلم بن عوسجة، فبالغ في قتال الأعداء، وصبر على أهوال البلاء، حتى سقط إلى الأرض وبه رمق، فمشى إليه الحسين (عليه السلام) ومعه حبيب بن مظاهر، فقال له الحسين (عليه السلام): «رحمك الله يا مسلم، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلو تبديلاً»(المصدر نفسه: ١٦١)

في قوله تعالى الذي استشهد به الإمام (عليه السلام) ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾(احزاب/ ٢٣) تقدَّم الخبر شبه الجملة (منهم) على المبتدأ المؤخر، وهو الاسم الموصول (من)، وقد أفاد هذا التقديم العناية والاهتمام بالمخاطبين الذين يتحدث عنهم الإمام. فبتقديم (منهم) وجَّه الانتباه إلى خصوصية هذه الفئة وتميّزها، ثم بيّن حالها بين من وفّى بعهده واستشهد، ومن بقي ثابتًا ينتظر الشهادة دون أن يبدّل أو يتراجع. وجاء هذا الأسلوب منسجمًا مع المقام؛ إذ عبّر عن تقدير الإمام الحسين (عليه السلام) لتضحيات أصحابه، ورسّخ معاني الوفاء والثبات والصبر، كما أسهم في رفع معنويات الباقين، وربط مصيرهم بقيم التضحية والالتزام بالمبدأ، مما أكسب الخطاب قوةً دلاليةً وتأثيرًا نفسيًا بالغًا.

استطاع الإمام الحسين (عليه السلام) أن يبيِّن أمراً مهم من خلال تقديمه المفعول في الخطبة الآتية «وأنا الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلكم في أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمري ما هي لكم بنكير، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾(فتح/ ١٠) وسيغني الله عنكم، والسلام.»(ابن الاثير، ١٩٩٧، ج٣: ١٥٩)

في قوله (عليه السلام): «حظَّكم أخطأتم، ونصيبَكم ضيَّعتم»، تقدَّم المفعول به (حظكم) و(نصيبكم) على فعليهما، وهو تقديمٌ يفيد الاهتمام والتوكيد، إذ وجَّه الإمام عناية المخاطبين إلى حقيقة ما أضاعوه قبل بيان فعلهم. فلم يكن الضياع متعلِّقًا بأمرٍ عارض، بل بحظهم ونصيبهم الحقيقي من الهداية والوفاء بالعهد. وقد جاء هذا التقديم منسجمًا مع سياق التوبيخ والاحتجاج، فأبرز فداحة موقفهم في نقض العهد وخذلانهم للحق، وأكسب الخطاب قوةً دلاليةً وحجاجيةً، وجعل اللوم أشدَّ وقعًا في نفوس المخاطبين.

٣. ٢. ٣. الجملة الاسمية والفعلية

إن إستخدام الإمام الحسين عليه السلام للجمل الفعلية والإسمية في خطبه يعتبر من خصائص أسلوبه ومزاياه، كما إنه يدل على عاطفية الإمام وعظمته وكذلک يعتبر دليلا على حركية خطبه وفاعليتها. إنّ الإمام عليه السلام بتوظيفه الجميل للجمل الفعلية والإسمية يترک تأثير كبيرا في نفوس مخاطبيه ويحدث في داخلهم إنفعالا ونشاطا كبيرا للغاية.

استخدم الإمام الحسين (عليه السلام) الجملة الاسمية مخاطبا ابن أخيه القاسم (عليه السلام) قائلا (بُعداً لقومٍ قتلوك) استخدم الإمام الحسين (عليه السلام) الجملة الاسمية للتناسب مع خطابه (عليه السلام) الذي يدل على ثبوت وقوع الحدث أي استشهاد ابن أخيه مضرجا بدمه في ساحة المعركة استخدم الإمام الحسين (عليه السلام) الجمل الاسمية كثيراً في خطاباته المباركة ومنها:

– «قال (عليه السلام) وإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون»(الحراني، ٢٠١٤: ١٧٤)

اعتمد الإمام الحسين (عليه السلام) الجملة الاسمية في مواضع متعددة؛ لما تؤديه من دلالة على الثبوت والاستقرار. ففي قوله:«بُعدًا لقومٍ قتلوك»، جاءت الجملة الاسمية منسجمةً مع المقام؛ إذ عبّرت عن ثبات موقف الإمام في إدانة قتلة القاسم (عليه السلام) واستنكار فعلهم. وكذلك في قوله: «إني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً، والناس عبيد الدنيا...»، وظّف الإمام الجمل الاسمية لتقرير حقائق راسخة لا ترتبط بزمان أو مكان، فجعل السعادة ملازمةً للشهادة في سبيل الحق، وصوّر الحياة مع الظالمين حالةً مرفوضة، كما أبرز أن التعلّق بالدنيا صفةٌ ثابتة فيمن قدّم مصالحه على مبادئه. ومن ثمّ أسهمت الجملة الاسمية في ترسيخ هذه المعاني في ذهن المتلقي، وأكسبت الخطاب قوةً تقريريةً تتناسب مع طبيعة المقام.

ـ «أيها الأمير! إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينا أحق بالبيعة والخلافة»(المجلسي، ١٤٠٣: ٣٢٥).

اعتمد الإمام الحسين (عليه السلام) في هذا الخطاب على الجملة الاسمية في قوله: «إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة»، وكذلك في قوله: «ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر...»، لما تؤديه من دلالة على الثبوت والاستقرار. فقد جاءت الجملة الأولى لتقرير المكانة الثابتة لأهل البيت (عليهم السلام) وارتباطهم بالنبوة والرسالة، في حين جاءت الجملة الثانية لإثبات الصفات المنسوبة إلى يزيد وبيان عدم أهليته للخلافة. وبذلك أسهمت الجمل الاسمية في بناء مقابلة دلالية بين طرفي الخطاب، وترسيخ المعنى في ذهن المتلقي بما ينسجم مع المقام الحجاجي الذي يرمي إلى إظهار أحقية الإمام الحسين (عليه السلام) بالخلافة ورفض مبايعة يزيد.

لقد أكثر الإمام الحسين (عليه السلام) من استخدام الجمل الفعلية وهذا يدل على أنَّ مشروعه الإلهي مشروع مستمر ومتجدد على مر العصور كما هو واضح في الخطبة الآتية:

«فقام (عليه السلام) واتكأ على قائم سيفه ونادى بأعلى صوته، فقال: أنشدكم الله هل تعرفونني؟ قالوا: اللهم نعم، أنت ابن رسول الله وسبطه./ قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله؟/ قالوا: اللهم نعم./ قال: أنشدكم الله هل تعلمون أنَّ أمي فاطمة ابنت محمد؟/ قالوا: اللهم نعم./ قال: أنشدكم الله هل تعلمون أنَّ أبي علي بن أبي طالب؟/ قالوا: اللهم نعم./ قال: أنشدكم الله هل تعلمون أنَّ جدتي خديجة بنت خويلد أول نساء هذه الأمة إسلاماً؟/ قالوا: اللهم نعم./ قال: أنشدكم الله هل تعلمون أنَّ حمزة سيد الشهداء عم أبي؟/ قالوا: اللهم نعم./ قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جعفر الطيار في الجنة عمي؟/ قالوا: اللهم نعم./ قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله أنا متقلده؟/ قالوا: اللهم نعم./ قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله أنا لا بسها؟/ قالوا: اللهم نعم./ قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن علياً (عليه السلام) كان أول الناس إسلاماً وأجزلهم علماً وأعظمهم حلماً وأنه ولي كل مؤمن ومؤمنة؟/ قالوا: اللهم نعم./ قال: فبم تستحلون دمي وأبي صلوات الله عليه الذائد عن الحوض غداً، يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادر على الماء، ولواء الحمد بيد أبي يوم القيامة؟!!»(ابن طاووس، ۲۰۱٤: ۱٤٥)

اعتمد الإمام الحسين (عليه السلام) في هذا المقطع على الجمل الفعلية، ولاسيما في تكرار قوله: «أنشدكم الله هل تعلمون»، لما تؤديه من دلالة على التجدد والحركة واستمرار الفعل. فقد جاء تكرار الفعلين «أنشدكم» و«تعلمون» ليجدد المناشدة ويقيم الحجة على المخاطبين في كل مرة، حتى يقرّوا بالحق الذي لا يستطيعون إنكاره. كما أسهم هذا التتابع في إضفاء إيقاع حواري متدرج، زاد من قوة الخطاب الحجاجية، وأبرز إصرار الإمام (عليه السلام) على إلزام خصومه بالاعتراف بالحقائق قبل مساءلتهم عن سبب استحلال دمه، مما جعل الجملة الفعلية أكثر ملاءمةً لطبيعة المقام القائم على الحوار والاحتجاج.

استخدم الإمام (ع) جملا فعلية قصيرة كثيرة ليعبر عن نعم الله التي أنعم بها على محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين من خلال كلامه مع عمر بن سعد قائلا «فجمع الحسين أصحابه بعد رجوع عمر فقال: أثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدةً وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين فاجعلنا لك من الشاكرين»(ابن الأثير، ۱۹۹۷، ج۳: ١٦٦)

قام الإمام الحسين (عليه السلام) باستخدام الجمل الفعلية (علمتنا) (أكرمتنا) (فقهتنا) (جعلت لنا) نفهم من خلال هذا الجمل الفعلية القصيرة أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) استطاع أن يرسم لنا صورة مستمرة مع محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) إلى يوم القيامة وهي نعمة عظيمة تستحق التعظيم والذكر وهذا يدل على براعة الإمام (عليه السلام) وقوة بيانه عندما تغيرت لغة خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) من

الوعظ واللين إلى الشدة استخدم الإمام (عليه السلام) جملا فعلية تتناسب مع هذه الشدة «قال (عليه السلام): تبّاً لكم أيتها الجماعة وترحا حين استصرختمونا وإلهين فأصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفا لنا في أيمانكم وحششتم علينا نارا اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم ألبا لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم فهلًا لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجأش طأمن والرامي لما يستحصف ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبى وتداعيتم إليها كتهافت الفراش فسحقا لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الآثام ونفثة الشيطان ومطفئ السنن أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون أجل والله غدر فيكم قديم وشجت إليه أصولكم وتأزرت عليه فروعكم فكنتم أخبث ثمر شجا للناظر وأكلة للغاصب.» (المصدر نفسه: ١٥٧)

استخدم الإمام الأسلوب الفعلي أي الجمل الفعلية (تبا) (ترحا) من أجل غاية تدور في شعوره فبدأ بالدعاء على الأعداء بالويل والثبور والهلاك فأراد أن يستمر هذا الدعاء ويتجدد فلذلك استخدم هذه الجمل الفعلية لتدل على الثبوت والاستمرار وفعلا تحقق هذا الدعاء فاللعنة مستمرة إلى الآن بل إلى قيام الساعة كما استخدم الإمام الحسين (عليه السلام) أيضاً الجمل الفعلية القصيرة الأخرى (حششتم- اصبحتم – سللتم – اسرعتم – تداعيتم) كل هذه الجمل جاءت بصيغة واحدة وهي صيغة الفعل الماضي وذلك لتدل هذه الأفعال على انتهاء الحدث ووقوعه فالإمام من خلال هذا الخطاب استطاع أن يكشف ويفضح زيف الأعداء وانقلابهم السريع ضد إمامهم وأمَّا سبب استخدام الإمام لجمل فعلية قصيرة؛ لأنَّه في حرب والحرب لا تحتاج إلى الجمل الطويلة وإنَّما الجملة القصيرة فيها شدة وتأنيب للقوم واستخدم الإمام الجملة الفعلية (فسحقا لكم) التي تدل على الاستمرار والتجدد؛ لأنَّ الإمام استخدم الدعاء كوسيلة لاستمرار اللعنة والهلاك عليهم إلى يوم القيامة.

النتائج

– ظهرت الدراسة أنَّ خطب الإمام الحسين (عليه السلام) تتميز ببناءٍ أسلوبي متماسك يجمع بين المستويين الصوتي والتركيبي، بما يحقق الانسجام بين الشكل اللغوي والدلالة الفكرية.

– كشف التحليل الصوتي عن كثافة الظواهر الإيقاعية في الخطاب الحسيني، ولا سيما التكرار والسجع، وقد أسهمت هذه الظواهر في إحداث موسيقى داخلية عززت قوة التأثير والإقناع، وربطت الإيقاع بالموقف النفسي والدلالة المقصودة.

– تبين أنَّ الإمام (عليه السلام) وظَّف تكرار الحروف والكلمات والجمل توظيفاً دلالياً، فلم يكن التكرار غايةً جمالية فحسب، بل جاء للتوكيد، وإلقاء الحجة، وإثارة الانفعال، وترسيخ المعاني في أذهان المتلقين.

– أظهرت الدراسة أنَّ اختيار الأصوات في الخطاب لم يكن اعتباطياً، بل انسجم مع طبيعة المواقف؛ فالحروف الشديدة والرخوة والمجهورة والمهموسة أسهمت في تصوير مشاعر الغضب والحزن والثبات والرحمة، ومنحت الخطاب بعداً إيحائياً واضحاً.

– كشفت الدراسة عن تنوع الأساليب التركيبية في خطب الإمام الحسين (عليه السلام)، إذ وظَّف الأساليب الخبرية والإنشائية بحسب مقتضى المقام، مما أكسب الخطاب مرونةً تعبيرية وقدرةً عالية على التأثير في المخاطبين.

– احتلَّ الأسلوب الإنشائي مساحة واسعة في الخطب، ولا سيما الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، وقد خرجت هذه الأساليب في أغلب المواضع عن معانيها الأصلية إلى أغراض بلاغية، مثل النصح، والتوبيخ، والتحذير، والتقريع، وإقامة الحجة، واستنهاض الهمم.

– بيَّن التحليل أنَّ الإمام (عليه السلام) أكثر من استعمال الجمل الفعلية في المواضع المرتبطة بالحركة والأحداث؛ لما تحمله من معنى التجدد والاستمرار، في حين استعمل الجمل الاسمية لإثبات الحقائق الراسخة وترسيخ المبادئ والقيم.

– أظهرت الدراسة أنَّ ظاهرة التقديم والتأخير جاءت وسيلةً لإبراز العناصر المهمة في الخطاب، وتوجيه اهتمام المتلقي إلى القضايا المحورية، مما أكسب التراكيب قوةً حجاجية ودلالية.

– اتسم الخطاب الحسيني بتوظيف أساليب حجاجية متنوعة، اعتمدت على الاستفهام، والتكرار، والاستشهاد، والمقابلة، لإقامة البرهان وإلزام الخصم بالحجة وإظهار تهافت موقفه.

– كشفت الدراسة عن حضورٍ واضحٍ للقرآن الكريم في خطب الإمام الحسين (عليه السلام)، سواء في الاقتباس المباشر أو في محاكاة الأسلوب القرآني واستحضار مفاهيمه، الأمر الذي عزز البعد الديني والحجاجي للخطاب.

– عكست التراكيب اللغوية في الخطب الحالة النفسية للإمام (عليه السلام)، فتنوعت بين الرحمة والشفقة عند النصح والإرشاد، وبين القوة والحزم عند مواجهة الخصوم، وهو ما يدل على التوافق بين البنية الأسلوبية والمقام الخطابي.

– خلصت الدراسة إلى أنَّ الخصائص الأسلوبية في خطب الإمام الحسين (عليه السلام) لم تكن عناصر جمالية معزولة، وإنما أدت وظائف دلالية وتداولية وحجاجية أسهمت في ترسيخ أهداف الخطاب الإصلاحية، وأكسبته قدرةً على التأثير والاستمرار عبر العصور.

المصادر

- القرآن الكريم
- ابن الأثير، ضياء الدين،(١٩٩٥م)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. تحقيق محي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية.
- ابن طاووس، (٢٠١٤م)، **الملهوف على قتلى الطفوف**، دمشق: دارالفكر.
- حسن، عباس، (٢٠٠٨م)، **النحو الوافي**، تهران: دار المعارف.
- الداية، فايز، (١٤١٦)، **جماليات الأسلوب**، ج ٢، دمشق: دارالفكر.
- شميسا، سيروس، (١٣٧٤ش)، **كليات سبك‌شناسي**، چاپ سوم، تهران: انتشارات فردوس.
- طهماسبي، عبد الصاحب، (٢٠٢٠م)، **الصوت والصرف**. قم: تكاد تدوين كتب آموزشى دانشگاه.
- عبدالمطلب، محمد، (١٩٩٤م)، **البلاغة الاسلوبية**، القاهرة: شركة المصرية العالمية للنشر.
- عودة، ميس محمد خليل، (٢٠٠٦م)، **تأصيل الأسلوبية فى الموروث النقدى والبلاغى** (كتاب مفتاح العلوم للسكاكى نموذجا). فلسطين: جامعة النجاح الوطنية.
- فتح الله، أحمد سليمان، (٢٠٠٨م)، **الأسلوبية مدخل نظرى ودراسة تطبيقية**، القاهرة، دار الآفاق العربية.
- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي،(١٤٠٣هـ)، **بحار الأنوار**. بيروت: مؤسسة الوفاء.

التنظيرات والنقد في الأدب العربي
السنة الرابعة، العدد ١٨، صيف
١٤٠٤هـ، ٢٠٢٥م، صص١٤٨-١٢٣

مقاله پژوهشی
DOI: 10.22034/jral.2026.594348.1126

جلوه‌های سبکی گفتمان حسینی در واقعه کربلا؛ مطالعهٔ موردی دو سطح آوایی و نحوی

حسن رحمانی‌راد*[۱]، محمد غفوری‌فر[۲]، عباس اسماعیل مزعل التمیمی[۳]

تاریخ دریافت: ۱۴۰۵/۰۱/۰۷
تاریخ پذیرش: ۱۴۰۵/۰۲/۲۳

چکیده

مطالعات سبک‌شناختی از جمله روش‌های نوین نقد ادبی به شمار می‌روند که با تحلیل سطوح مختلف زبانی متون ادبی، به بررسی و کشف ویژگی‌های زیبایی‌شناختی و معنایی آنها می‌پردازند. خطبه‌های امام حسین(ع) از برجسته‌ترین متون خطابی در میراث عربی و اسلامی به شمار می‌رود؛ زیرا افزون بر برخورداری از ارزش‌های دینی، انسانی و اصلاحی، از غنای هنری و سبکی نیز برخوردار است. پژوهش حاضر با هدف شناسایی برجسته‌ترین ویژگی‌های سبکی در نمونه‌هایی منتخب از خطبه‌های امام حسین(ع)، تبیین کارکردهای هنری و معنایی آنها در دو سطح آوایی و نحوی و نیز نشان دادن نقش این ویژگی‌ها در شکل‌گیری گفتمان حسینی و انتقال اهداف اصلاحی آن انجام شده است. پژوهش با بهره‌گیری از روش توصیفی ـ تحلیلی و از طریق تحلیل نمونه‌هایی منتخب از خطبه‌های امام حسین(ع) در مسیر حرکت ایشان از مدینه منوره تا کربلا صورت گرفته است. یافته‌های پژوهش در سطح آوایی نشان می‌دهد که تکرار در سطوح مختلف، سجع و تکرار آواها به‌طور چشمگیری در خطبه‌ها به کار رفته‌اند. این پدیده‌های سبکی با ایجاد آهنگ و موسیقی کلام، به تقویت ساختار بیانی متن، تعمیق دلالت‌های آن و برجسته‌سازی احساساتی همچون اندوه، پایداری، هشدار، سرزنش و برانگیختن مخاطب کمک کرده‌اند. همچنین، بررسی در سطح نحوی از تنوع چشمگیر شیوه‌های خبری و انشایی، به‌ویژه امر، نهی، استفهام و ندا، در کنار پدیده‌هایی همچون تقدیم و تأخیر و تناوب میان جمله‌های اسمی و فعلی متناسب با مقتضای مقام حکایت دارد. تحلیل انجام‌شده نشان می‌دهد که این شگردهای سبکی صرفاً با هدف آرایش لفظی به کار نرفته‌اند، بلکه کارکردهای معنایی و استدلالی آشکاری داشته و در تقویت قدرت گفتمان، اقامه حجت بر مخاطبان و تثبیت ارزش‌های حق، عدالت و اصلاح در نهضت حسینی نقش داشته‌اند.

کلمات کلیدی: سبک‌شناسی، گفتمان حسینی، امام حسین(ع)، سطح آوایی، سطح نحوی.

---

۱. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه ادیان و مذاهب، قم، ایران. (نویسندهٔ مسئول). ایمیل: h.rahmanirad@urd.ac.ir
۲. دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه کوثر بجنورد، بجنورد، ایران.
۳. کارشناس ارشد زبان و ادبیات عربی، دانشگاه ادیان و مذاهب، قم، ایران.

حقوق مؤلف: نویسنده **ناشر:** دانشگاه کوثر